مكانة العراق والعراقيين

في

كتب التاريخ والتراث

تأليف

الاستاذ الدكتور

محمد جاسم حمادي المشهداني

مكانة العراق والعراقيين

في

كتب التاريخ والتراث

تأليف

الأستاذ الدكتور

محمد جاسم حمادي المشهداني

بغداد

١٤١٦ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۞"

صدق الله العظيم

سورة الأعراف / الآية / ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

من بين الاساسيات التي اكد عليها فلاسفة التاريخ والمفكرون وبالاخص اولئك الذين تبنوا التفسير القومي للتاريخ ، ان هناك ترابطا جدليا بين الماضي والحاضر ، وهذا الترابط يدلل على اتجاهين اساسيين يعبران عـن حقيقتـه ، اولهما الاتجاه الايجابي لصلة الترابط الحي بين ماضي كـل شعب وحـاضره ، والاتجاه الثاني السلبي الناتج عن تلك الصلة اذا ما كان الماضي سلبيا مخجلا ، فاذا كان الماضي مشرفا ومشرّفا يفرض بأرجحية بينة ضرورة ان يكون الحاضر بالاتجاه المشرق والمشرف معا ، اما اذا كـان ذلك الماضي سيئا فـان الحاضر سيفرض عليه ثقل سوء الماضي بقدر ، ولذلك نجد ان الشعـوب التي تفتقـد الى اصولها العريقة والحضارية في التاريخ تواجه صعوبات بالغة حد الاستحالة احيانا في ان ترتقي بفعلها الـى المستوى الحضاري الـذي ترتقي اليـه امـة ذات جذور عميقة منها ، اذا ما توفـرت لها العوامـل الاخـرى في الصيرورة الافضل ، لان ابناءها يعانون من هزيمة داخلية كامنة في نفـوسهم ، ولـذلك تفتقد مدنيتهم المعاصرة الى مقومات الاصالة والابداع ، ولـذلك ايضا تظـل تصرفاتهم متعثرة ومتخلفة لتبلغ الخط الانساني السليم الذي تنشده الحضارة الانسانية ، وتظل تعاني من عقدة الماضي الذي لم يكن مشرفا وعظيما وتقودها

تلك المعاناة الى الحقد والكره غالبا لكل شعب يمتلـك حضارة وعمقا تاريخيا مهما كان حجمه ودوره في التاريخ الانساني المعاصر .

ولذلك يسعى المؤرخون عند تعليلهم للتاريخ الى الكشف عـن حقيقـة كثير من المعضلات المعاصرة التي تعاني منها الشعوب والامم في عصرنا الراهن ، وذلك لايمانهم بدور التاريخ في توجيه سلوك الشعوب والامم ، وبدوره ايضا في معالجة الاشكاليات المعاصرة التي لها جذورها التاريخية العميقة .

ومن جانب اخر ، نجد ان العديد مـن المفكـرين والسياسيين كثيرا مـا يلجأون للتاريخ في الازمات لتجاوزها مهما كانت مؤثراتها ومدياتها ، ولايمكن ان تكون اي استنتاجات نابعة من الماضي لها اثرها دون الايمان بقيمة ذلـك الماضي واهميته في استنهاض مفرداته لمعالجة تلك الاشكاليات وتجاوزها .

ومن هنا نجد ان التاريخ يظل منهـلا ومعينا لاي شعب وامـة في تجاوز الازمات التي تخلق اشكاليات متنوعة ، ولذلك يتجه الباحثـون الـى اختيار مواضيع للبحث والدراسة في الاتجاه الـذي يكشف عن الحقائق المعاصـرة ، وهذا الاتجاه لا يجعل الكتابة في التاريخ ترفا فكريا ونزوة عابرة ، انما يعبـر هذا الاختيار عن مسؤولية يحس ويشعر الباحث في التاريخ ان عليه ان يقـوم بها كواجب اساسي من واجباته ، وهنا تصبـح الكتابة المسؤلـة اصعب من الاختيار ، لان الاختيار لاي موضوع يضع الباحث على بداية الطريـق غير ان الوصول الى الهدف الذي يحـدده الباحث ليس امـرا هينا ، مهما اجتهـد الباحث ، ومهما ركز ذهنه وفكره لأن الأمر يرتبط بوفرة المادة من عدمها .

وانطلاقا من هذه الحقائق والمعطيات فقد وقع اختياري علـى موضـوع (مكانة العراق والعراقيين في القرآن الكريم وكتب التاريخ والتراث) ليعبـر عن كل تلك المعاني التي ذكرتها ، فضلا عـن كونه يقع في اطـار التاريـخ المحلي الذي ظهرت اساسياته كأحد ابرز اتجاهات التدوين التاريخي في الفكر العربي الاسلامي عندما اهتم المؤرخون العرب بالكتابـة في تاريـخ مدنهـم

وبلدانهم ، حيث افاضت تلك المؤلفات بمعلومات قيمة ومهمة عن تواريـخ تلك البلدان ، وماروي في فضلها وبيان مكانتها واهميتها بين بلدان المعمورة .

وفي ضوء هذا السياق الفكري العربي في ميدان الفكـر التاريخي ، لـم تكن اسس الاختيار واهدافه مبتدعة انما هي قديمة سبقنا اليها الكثير مـن المؤرخين والاخباريين ، كما ان الكتاب يتناول تاريخ العراق من زاوية خاصـة لا تتعلق بالحوادث وتفاعلاتها وانما بوصف وتشخيص دقيق للارض والانسان الذي يعيش عليها .

ولعل ما سأتطرق اليه في ثنايا البحث سيعكس هذه الحقيقة التاريخية ، والمكانة التي يتميز بها الانسان والارض في هذا البلد ، وان مـا اذكره هنـا يعتمد الدقة في ايـراد النصوص التاريخيـة التي رويت في كتابات المـؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين الذين تناولوا جانبا من جوانب هذا الموضوع ، حيث تحدث كل منهم من زاوية خاصة عن جانب مـن جوانب تلك المكانـة ، وكانوا منصفين في تأشير جوانب الحقيقة ليقولوا من خلالها كلمـة الحـق ، وخاصة في العصور الاسلامية ، ومن هنا يتضح السبب الذي مـن خلالـه تم اختيار هذه الدراسة التي تساهم في التعبير عن حقيقة هذه الارضـ واهلها ، هذه الارض التي عرفت التوحيد الالهي منذ عهد سيدنا نوح عليه السلام ، ودعوة التوحيد التي نادى بها سيدنا ابراهيم عليـه السـلام ، حيث احتضنت هذه الارض دعوات التوحيد الالهي التي قدر الله تعالـى لعدد مـن انبيائـه ورسله ان يبشروا بها ، ويدعوا اليها ، كما احتضنت هذه الارض العديد مـن الانبياء والرسل بين من ولد او عاش او مـات فيها حيث بارك اللـه تعالـى هذه الارض ببركات الانبياء والمرسلين فيها ، كما احتضنت هذه الارض ثرى مئات الصحابة الكرام من صحابة الرسول الكريم محمد صلى اللـه عليه وسلم حيث توزع رفاتهم الطاهر في اغلب ارض العراق ، فضلا عن رفات آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ورفات عشرات الاولياء والصالحين مـن

اصحاب الكرامات ، والايمان واهل التوحيد الصادق ، فكانت بركات تلك الكرامات بلسما لهذه الارض واهلها ، فضلا عن ما حباها الله تعالى من الخير والخصب الكثير ، مما ترك لها مكانة مميزة في التاريخ الانساني قلما نجد لها نظيرا في اي بلد من بلدان العالم ، كما تنتشر على ارض العراق المشاهد الاثارية الشاخصة التي تحكي لنا قصة من قصص هذه المكانة ودورها الانساني في كل مرحلة من مراحل تاريخها ، وفيها يعبر كل موروث حضاري عن حقيقة زمانه ، ومكانته ودوره في ذلك الزمان .

ولذلك جاء هذا الاختيار ليعبر عن حقيقة واقعة ، وليس ترفا ، ونحن احوج ما نكون الى الكتابة في الصفحات المشرقة الايجابية من التاريخ ليكون حافزا ، خاصة وان كثيرا من الناس يعانون من نقص في ميدان الثقافة التأريخية ذات الجوانب الايجابية المشرقة لكي تحقق مثل هذه الدراسات خدمة للهدف الذي نسعى اليه في كتابة التاريخ ، بما يعزز نفسية المواطن ومدى حبه لوطنه وامته ، وليسهم التاريخ بدوره في التربية الوطنية والقومية .

وقد اقتضت ضرورات البحث ان يكون من مباحث تسعة تناولت فيها الموضوعات الاتية :

عالجت في المبحث الاول : (معنى العراق ... الخير والعطاء ... البأس والشجاعة ..) بالتأكيد على المعاني الانسانية لهذه المفاهيم ، والتي غفل عن ذكرها بعض من تناول هذا الموضوع في دراسته ، حيث اكد هذا المبحث على مفهوم الخير والعطاء بما حبا الله ارضه من البركات ، اضافة الى التاكيد على كون المعنى معبرا عن الحمية لانها استكفت ارض العرب وحمتها من الاعداء ، ولعل ابرز ما ذهب اليه هذا المبحث ، هو الشدة والبأس الذي كان احد اسباب تسمية العراق لما اتصف به اهله بذلك .

اما المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان : (العراق اصـل العروبـة •• وصنيعها) فقد اكدت فيه كون الهجرات العربية قد ابتدأت اصلا في العصـور القديمة ، بأتجاه ارض العرب في كل مكان ، ثم ايراد الاستدلالات التاريخية التي تؤكـد ذلـك .

اما المبحث الثالث الذي عنوانه : (العراق منبـع لغة العرب •• والخـط العربي) فقـد اكدت فيه على النصوص التاريخية التي بينت هـذه الحقيقـة وعبرت عنها بوضـوح .

واما المبحث الرابع ، فكان عن : (ما ورد بحـق العـراق مـن مـدح وثناء ••) حيث اعددت جردا بكافـة النصوص التاريخية التي وردت بحـق العراق ، والتي اكدت على مـدح تسميته العـراق ، وارضـه بما في ذلـك موقعها ، وترابها ، ومياهها ، وهواؤها ، حيث افاض علماء الجغرافية والتاريخ في مـدح العراق وما فيـه .

وفي المبحث الخامس ، المعنون : (ما ورد بحـق العراقيين مـن مـدح وثناء) عرضت كافة النصوص التاريخية التي وردت بحق العـراقيين عمـوما بما في ذلـك خلقهم ، وعقولهم ، وابـداعهم ، وبراعتهم في كـل حقـل مـن حقـول المعـرفة) .

اما المبحث السادس ، فقد خصصته لموضـوع : (ما ورد في القـرآن الكريم بحق العراقيين) وتناولت فيه ما ورد في القـرآن الكـريم مـن ايات تتعلق بوصف اهل العراق ، وايمانهم ، وانزال الله ملائكته في مـدينة بابـل ، وما اكدته هذه الايات من مكانة العراقيين الحقيقيـة .

وفي المبحث السابع ، تناولت : (ما ورد بحق العراقيين عـن الرسـول الكريم صلى الله عليه وسلم) وذكرت اقوال واحاديث الرسول صلى الله عليه

وسلم بحق العراق واهله ، وما اشار اليه الرسول الكريم من قول في بناء بغداد ، ووصفه لها ، وذلك قبل بنائها باكثر من مائة واربعين عاما .

اما المبحث الثامن فقد تطرقت فيه الى (ما ورد بحق العراقيين عن الصحابة الكرام والتابعيين وقادة الامة وعلمائها) وقدم هذا المبحث صورة رائعة عن تلك المكانة وبالاخص ما قاله الصحابة الكرام ، والتابعون ، والقادة والعلماء بحق اهل العراق وما وصفوهم به من اوصاف تعبر عن حقيقة اهل العراق ومكانتهم .

وجاء المبحث التاسع تحت عنوان (ما ورد في مدح بغداد واهلها) بما في ذلك تسميتها ، وموقعها ، وبيان فضلها ومكانتها بين المدن ، فضلا عن ما ورد في مدح اهلها وبيان مكانتهم ودورهم في التاريخ ، حيث عبرت النصوص التاريخية التي تم ايرادها عن حقيقة هذه المكانة تعبيرا واضحا .

واخيرا ارجوا من الله تعالى ان أكون قد وفقت في هذه الدراسة ومعالجة كافة ما ورد فيها ، لكي تكون الحقيقة واضحة عن تاريخ هذه الارض واهلها ، ودورها في تراث وتاريخ الامة والانسانية .

ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

الاستاذ الدكتور
محمد جاسم حمادي المشهداني
في بغداد المحروسة
١٧/ربيع الثاني / ١٤١٦ هـ
١٢ / ايلول / ١٩٩٥ م

المبحث الأول

معنى العراق.. الخير والعطاء.. البأس والشجاعة

يتمتع العراق بموقع جغرافي متميز وفريد ، حباه الله تعالى بكل أنواع الخير الوفير الذي لا تجد له نظيرا في أغلب بلدان العالـم ، ولذلك تميزت حضارته ، وتميز تاريخـه عن بلدان العالم ، واقترن الخـير والعطاء باسم العراق ، قال الخليل بن احمد الفراهيدي عن معنى اسم العـراق : (تعني شاطيء البحر ، وسمي العراق عراقا لانه على شاطيء دجلة والفرات عداء حتى يتصل بالبحر والعـراق في كلام العـرب : شاطيء البحر ...)[١] . وفي رواية ، انما سمي العراق عراقا لمصب المياه اليه كدجلة والفرات وغيرهما من الانهار قال المسعودي (ت ، ٣٤٦هـ) : (واظنه مأخوذا من عراقي الدلو وعراقي القربة[٢] ، وفي رواية سمي العراق،لانه مأخوذ منعراقي الدلو[٣] ، وذكر عن ابي العـلاء ان العـراق مأخوذ من عروق الشجر ، وهي منابت الشجر[٤] ، لانه بلد خصب غني بالزراعة على مدار السنة .

مما تقدم ، يتبين ان معنى العراق يدلل على الخير والعطـاء ، ويعبر عن حقيقة هذا البلد وطبيعته حيث حباه الله تعالى بكل أنواع الخير والرزق الوفير ، على مر الازمان والعصور .

---

(١) أبوالحسين ، احمد بن فارس بن زكريا (ت ، ٣٩٥ هـ) ، معجم مقاييس هارون ، مطبعة دار الفكر ، مادة عرق) .

(٢) المسعودي ، ابو الحسـن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهـب ومعادن الجوهر ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٦٤) ٦٩ .

(٣) الحميري ، محمد عبدالمنعم . (ت ٧٢٧هـ) الروض المعطـار في خبـر الاقطار (بيروت ، ١٩٨٤) ٤١٠ .

(٤) ابن دريد ، محمد بن الحسن (ت ، ٣٢١ هـ) ، الجمهرة ، ٢/٣٨٤ .

ويرد معنى آخر للعراق يعبر عن البأس والشجاعة التي يتصف بها ابناؤه ، حيث روى ان العراق سمي بلد السباع لان السباع تدعى بالنبطية «اريان» ، فشبهوا ـ أي أهله ـ بالسباع لشدة بأسهم وشجاعتهم وعظم ملكهم وكثرة جنودهم[٥] فهنا تعبر كلمة العراق عن الشجاعة وعظمة ملكه ، وقوة جنده ، فعبر المعنى عن حقيقة تاريخه منذ القدم .

اما المعنى الآخر للعراق ، فيعبر عن الحمية والنجدة والحماية لارض العرب وأهلها لانها تعني الاحاطة والحماية كما يحيط اللحم بالظفر ، قال الدريدي : (سميت العراق لانها استكفت رأض العرب)[٦] ، أي صارت كالكفاف لها وحمتها من غائلة الاعداء .

ان ما تقدم ذكره عن معنى العراق يعبر ، ويدلل على الخير والبركة التي تميزت بها أرض العراق ، كما يدلل على الشجاعة والبأس ، والنجدة لاستكفاء أرض العرب وحمايتها ، وهكذا عبرت كلمة العراق عن الخير والحمية ، وهي ميزة قلما نجد لها نظيرا فيأي بلد في هذه المعمورة ، وبذلك تكون كلمة العراق قد عبرت عن مجموعة من المعاني العظيمة .

أما من ناحية القدم التاريخي لتسمية العراق ، فقد غلب عليه عند الجغرافيين والمؤرخين القدامى أسم اقليم بابل ، كما قال ابن الفقيه الهمداني (ت ، ٣٦٥هـ) : (وانت تعلم ان الناس ينسبون الشيء الى الافضل المشهور ، بابل انما سميت بابل لان الالسن اختلفت اليها وتبلبلت فيها ،

---

(٥) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، (بيروت ، ١٩٦٥) ٣٨٥ .

(٦) الدريدي ، جمهرة اللغة ، مادة عرق ، ٢٨٩/٤ ، وينظر للاستزادة ذبيح الله المحلاتي ، ماثر الكبراء في تاريخ سامراء ، الطبعة الاولى ج٢ ، (النجف ، ٩٤٥) ١٣٥ .

وان الملوك والناس اجتمعوا فيها ثم تفرقوا منها)[7] فكانت أرض بابل أصل البشرية ولغاتها ، وانطلاقها منها .

أما في العصور الاسلامية فقد أطلق العراق على كل مدينة ترتبط تسميتها بالقمة والمجد والعظمة للاسلام ، حيث وصفت الكوفة والبصرة فسميتا على التغليب (العراقان) مدحا لهما وتعظيما لمكانتهما .

(7) ابن الفقيه الهمداني ، كتاب بغداد ، ص ٨٥ .

المبحث الثاني

العراق وأصل العروبة

المتداول والمعروف بين المؤرخين ان العرب نزحوا من اليمن والجزيرة العربية الى العـراق والشام ومصر وشمال افريقيـا ، غير ان نص المؤرخ المسعودي (ت ، ٣٤٦هـ) يشير الى ان أصل العرب كان في العراق ، ومن ثم انتقلوا منه الى تلك البلدان ، وهنا يؤكد المسعـودي ان العراق منبـع العروبة وأصلها ، حيث قال المسعودي : (كان الناس بعد الطوفان مجتمعين بمكان واحد بأرض بابل ولغتهم السريانية ثم تفرقوا فسلك قحطان ، وعاد ، وثمود ، وعملاق ، وطسم وجديس طريقا ، وألهمهم الله تعالى هذا اللسان العربي فساقتهم الاقدار الى اليمن ، فسارت عاد الى الاحقاف ، ونزل ثمود ناحية الحجر ، ونزل جديس اليمامة ، ثم شخص طسم فنزل اليمامة مع جديس ثم شخص عملاق فنزل أرض الحرم ، وسار ضخم ارم فنزل الطائف ، وسار جرهم فنزل مكة ، فهؤلاء ولدهم ونسلهم يسمون العرب العاربة ، وولـد اسماعيل يسمون العرب المستعربة لانهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم)[١] ، ويؤيد ابن سعيد المغربي ما ذهب اليه المسعودي عنـد حديثه عن العـرب العمالقة حينما قال : كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز ، فنزلوها أيام خروجهم من العراق أيام النماردة من بني حام[٢] ، أي زمن ملوك بابل الذي كان يطلق عليهم النماردة ، ومفردها نمرود ، والتي تدلل على العظمة والجبروت[٣] .

---

(١) المسعودي ، اخبار الزمان (بيروت ، ١٩٨٣) ١٠٤ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت ، ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، (بيروت ، لا . ت) ٣٠ .

(٣) نفسه ، ٣٠/٢ .

وروي عن ابن الاعرابي قوله : (سأل رجل عليا عليه السلام : أخبرني عن أصلكم معاشر قريش ، فقال : نحن من كوثى[٤] ، فقال قوم أراد كوثى السواد التي ولد فيها ابراهيم الخليل ، وقال آخرون أراد بقوله كوثى مكة ، وذلك ان محلة من عبد الدار يقال لها كوثى قال أبو منصور والقول هو الاول، لقول علي عليه السلام ، فاننا نبط من كوثي ، ولو اراد كوثى مكة لما قال نبط)[٥] .

---

(٤) كوثى : وهي من ارض بابل وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام (الحموي) معجم البلدان ، ٣/٢٦٠ .

(٥) السيد عبدالرزاق كمونة الحسيني ، مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين ، مطبعة الاداب ، (النجف الاشرف ، ١٩٦٨) ، ٢٣ .

المبحث الثالث

العراق منبع لغة العرب والخط العربي

يعد العراق منبعا للغة العربية ، والخط العربي ، الذي ظهرت أصوله واستخداماته وأنواعه في العراق ، روي عن الامام عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قوله : (أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان وهي قبيلة سكنوا اليها ، وانهم اجتمعوا فوضعوا حروفها مقطعة وموصولة، وهم مروة بن مردة ، واسلم بن سدرة ، وعامر بن جزرة) .

وروي الطبري في حوادث سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م ان القائد خالد بن الوليد عندما دخل الانبار ، ورآهم يكتبون بالعربية ، ويتعلمونها : (فسألهم ما انتم ، قالوا : قوم من العرب ، نزلنا على قوم من العرب قبلنا ، فكانت أمراؤهم نزلوها ايام بختنصر ..) فقال خالد بن الوليد : ممن تعلم الكتّاب ، فقالوا : تعلمنا الخط من أياد ، وأنشد قول الشاعر[١] :

قومي اياد لو انهم أمم | أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق اذا | ساروا جميعا والخط والقلم

وروي الاصمعي قائلا : (سئلت قريش : من أين لكم الكتابة ؟ قالوا : من الحيرة ، وقيل لاهل الحيرة : من أين لكم الكتابة ؟ قالوا : من الانبار : وقيل للانبار : من اين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : تعلمنا الخط من اياد ، وانشدوا قول الشاعر)[٢] الذي مر ذكره .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ (القاهرة ، ١٩٦٢) ٣٧٥ .

(٢) الحميري ، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار (بيروت، ١٩٨٤) ٣٦-٣٧ .

المبحث الرابع

ما ورد بحق العراق من مدح وثناء

أشاد المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون بمكانة العراق وعظم أرضه ، وعلو منزلته ، فيروى ان عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي قال : (ان الدنيا صورت على خمسة اجزء ... وصدر الدنيا مكة والعراق ...)[1]

وقال ابن عبدالحكم (ت ، ٢١٤) : (خلقت الارض على صورة الطائر رأسه وصدره وجناحاه ورجلاه وذنبه .. فالجناح الايمن العراق)[2] .

وقال اليعقوبي (ت ، ٢٨٤) : (وانما ابتدأت بالعراق لانها وسط الدنيا ، وسرة الارض، وذكرت بغداد لانها وسط العراق والمدينة العظمى،... لانها على ما اجمع عليه قول الحساب وتضمنته كتب الاوائل من الحكماء في الاقليم الرابع ، وهو الاقليم الاوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الازمان والفصول ...)[3]

أما ابن حوقل (ت ، ٣٤٠ هـ) فانه قال عن العراق : (هذا الاقليم أعظم أقاليم الارض منزلة وأجلها صفة وأغزرها جباية وأكثرها دخلا وأجملها أهلا ، وأكثرها أموالا ، وأحسنها محاسن ، وأفخرها صنائع ....

---

(١) ابن الفقيه الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣، المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

(٢) المسعودي ، اخبار الزمان ، ٤٠ .

(٣) اليعقوبي ، معجم البلدان ، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف ، ١٣٧٧هـ) ٣ ، ٢١ .

ولم أبالغ في وصف العـراق لاكثار الناس فيهـا ووصفهم المستفاض لها ، واشتهار عامة ما يذكر منها ، وهذه صفة جامعة لها ، واذ قصدي فيهـا وفي غيرها اثبات هيئتها في الصورة وموقع بعضها من بعض)[٤] .

وأبدع المؤرخ المسـعودي (ت ، ٣٤٦) في وصف وطنه العـراق عندما قال : (والعراق اشرف المواضع التي اختارتها ملوك الامم .. وهي حيث تلتقي دجلة والفرات وماقرب من ذلك .. وهذه الارض هي لب .. تفانت عليها الملوك)[٥] .

وقال ايضا : (الاقليم الرابع يضاف الى بابل ويعرف بها .. ولم يعرف ما حواه هذا الاقليم .. الا ببابل لفضل موضعها وجلالة صقعها لان ذوي المعرفة من الناس انما ينسبون الشيء الى الافضل المشهور ، ولـو ان بابل كذلك فانسبوا هـذا الاقليم ، مع سعة أرضه وجلالة ما حوى من البلدان اليه ، وهذا الاقليم وسط الاقاليم السبعة وأعدلها وأفضلها ، وبلد العراق وسطه فهو شرف الارض وصفوتها ، أعدلها غذاء وأصفاها هواء متوسط بين أفراط الحر والبرد ، وموضعه الموضع الذي ينقسم فيه الزمان أربعـة أقسام فلا يخرج ساكنوه من شتاء الى صيف حتى يمر بهم فصل الربيـع ، ولا من صيف الى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف)[٦] .

وقال ايضا : (وأوسط الاقاليم الاقليم الذي ولدنا فيه ، وان كانت الايام أنأت بيننا وبينه ، وساقت مسافتنا عنه ، وولد في قلوبنا الحنين اليه ، اذ كان وطننا ومسقطنا ، وهو اقليم بابل ، وقد كان هذا الاقليم .. جليلا ، وقدره عظيما .. وقد كان أهل المروءات في الاسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وغيره يشتون في الحرور ، وهو بالعراق ، ويصيفون فـي

---

(٤) ابن حوقل ، صورة الارض (بيروت ، بدون تاريخ) ٢١٠ ، ٢٢١ .

(٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ٣٦ .

(٦) نفسه ، ٣٥ .

الصرود وهي الجبال .. وذلك لما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ، ومادة الوافدين اليه وهما دجلة والفرات ، وعموم الامن فيه ، وبعد الخوف عنه ، وتوسطه الاقاليم السبعة ، وقد كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان أرضه من اقليم بابل الذي تجلت الآراء عن أهله بحكمة الامور ، كما يقع ذلك عن القلب.. واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ، ويعز عليّ ما ارضاتني اليه الاقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا ،وفي قاعته تجمعنا ، لكنه الزمن الذي من شيمته التشتيت ، والدهر الذي من شروطه الابانة ولقد أحسن أبودلف العجلي حيث يقول :

ايا نكبة الدهر التي طوحت بنا ... ايادي سبا في شرقها والمغارب
قفي بالتي نهوى فقد طرت بالتي ... اليها تناهت راجعات المصاعب

وقد ذكر الحكماء فيما خرجنا اليه في هذا المعنى ، ان من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه ، وشوقه الى أوطانه ، وبكاءه على ما مضى من زمانه ، وان من علامة الرشد ، ان تكون النفوس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواقة وللالف والعادة قطع الرجل نفسه لصلته وطنه)[7] .

ولعل أبرز ما ذكره المسعودي في هذا الشأن قوله : (واما العراق فمنار الشرق ، وسرة الارض وقلبها ، اليه تحادرت المياه ، وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمزجة أهله .. وقلب الارض العراق ، وهو المجتبى في قديم الزمان ، وهو مفتاح الشرق ومسلك النور ، ومسرح العينين ، ومدنه المدائن وماوالاها ، ولاهله أعدل الالوان ، وأنقى

(٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/٦٥ ـ ٦٦ .

الروائح •• وفضائله كثيرة لصفاء جوهره ، وطيب نسيمه ، واعتدال تربته ، واغداق الماء عليه ورفاهية العيش به)[8] •

وقال في وصف السواد ، وهو الاسم الذي أطلق على رساتيق العراق وضياعهـا ، حيث سميت كذلك لسوادهـا بالزرع والنخيـل والاشجار لان العرب اذا خرجوا من أرضهم وظهرت خضرة الزرع والاشجار يسمونها سوادا •• وجمع الله في أرضه من مرافق الخيرات وما يوجد فيها منغضارة العيش ، وخصـب المحـل ، وطيب المستقر وسعة ميرهـا مـن أطعمتهـا وأوديتها وعطرها ولطيف صناعتها ، وكانوا يشبهون السواد بالقلب وسائر الدنيا بالبدن ، وانما شبهوه بذلك لان الآراء تشعبت عن أهله بصحة الفكر والرؤية كما تتشعب عن القلب بدقائق العلوم ولطائف الآداب والاحكام ، وخصب بلاد العراق بسهولة لا عوائق فيها ، ولا شوائق تشينها ، ولا مفاوز موحشة ، ولا برار منقطعة عن تواصل العمارة ، وكانت الانهار المطردة من رساتيقها وبين قراهـا ، وتكاثف عمارتها وكثرة أنواع غلاتهـا وثمارها ، والتفاف أشجارها وعذوبة مائهـا ، وصفـاء هوائها وطيب تربتها ، مع اعتدال طينتها ، وتوسط مزاجها وكثرة أجناس الطير والصيد في ظلال أشجارها من طائر بجناح وماش على ظلف وسابح في بحر ، قـد أمنت مما تخافه البلدان من غارات الاعداء وبوائق المخالفين مع ما خصت به مـن الرافديـن دجلة والفرات اذ قد اكتنفاها لا ينقطعان شتاء ولا صيفا على بعد منافعهما في غيرها فانه لا ينتفع منهما بكثرة فائدة حتى لا يدخلاها فتسيح مياههما في جنباتها وتنبطح في رساتيقها ، فيأخذون صفوه هنيئا ويرسل كدره وآجنه الى البحر لا لانهما يشتغلان عن جميع الاراضي التي يمران بها ولا ينتفع بهما في غير

(٨) نفسه ، ٦٣/٢ •

السواد الا بالدوالي بمشقة وعناء بخلاف أرض العراق لان بها يفران قرارهما ويسقيان بساتينها وتسيح في رساتيقها وحدائقها)[9] .

وقال ابن الفقيه الهمداني (ت ، ٣٦٥هـ) عن أقليم العراق مانصه : (كان هذا الاقليم وسط الاقاليم السبعة والمعتدل ، ذلك الموضع الذي تنقسم أزمانه أربعة أقسام فلا تخرج فيه من شتاء الى صيف حتى يمر بنا فصل الربيع ، ولا تخرج منه من صيف الى شتاء حتى يمر بنا فصل الخريف ، وكان بهذا الاقليم فضيلة ان أكثر أموال المملكة تجبى منه لفضل عمارته وخيره من غير ان يحتاج له من النفقة الا الى الجزء اليسير من ارتفاعه ، وغيره من الاقاليم ، وما احتاج اليه ان ينوبه غيره ويقوم به سواه فيكون عاما ..)[10] .

ووصف ذورتيوس العراق القديم ، فقال : (اني وطئت بلادا كثيرة حتى انتهيت الى البلاد العامرة ذات الارباب الكثيرة ، ومصب الفرات ، وهي أرض بابل ذات الابنية المنيعة والقصور المشيدة)[11] .

وقال المقدسي (ت ، ٣٨٠هـ) عن العراق : (هذا اقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، لطيف الماء ، عجيب الهواء ، ومختار الخلفاء ، أخرج أباحنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ، ومنه كان أبو عبيدة والفراء ، وأبو عمرو صاحب القراء ، وحمزة ، والكسائي ، وكل فقيه ومقريء وأديب ، وسري ، وحكيم ، وداه ، وزاهد ، ونجيب ، وظريف ، ولبيب ، به مولد ابراهيم الخليل ، واليه رحل كل صحابي جليل أليس به البصرة التي قوبلت بالدنيا ، وبغداد الممدوحة في الورى ، والكوفة الجليلة ، وسامراء ، ونهره من الجنة بلا مراء ، وتمور البصرة لا تنسى ، ومفاخره كثيرة لا تحصى وبحر الصين

---

(٩) المسعودي ، مروج الذهب ، المحلاتي ، مآثر الكبراء ، ١/١٤٤–١٤٥ .

(١٠) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر البلدان ، ٨٦ .

(١١) نفسه ، ٨٦ .

يمس طرفه الاقصى والبادية الى جانبه كما ترى ، والفرات بقربه من حيث جرى)[١٢] .

وقال الخطيب البغدادي (ت ، ٤٦٣هـ) عن العراق : (ذكر علماء الاوائل ان أقاليم الارض سبعة ، وان الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة مستديرة يكتنفها ست دوائر على هذه الصفة ، كل دائرة منها اقليم من الاقاليم الستة الدائرة الوسطى هي اقليم بابل ، والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى .... والاقليم الرابع اقليم بابل وهو الممثل بالدائرة الوسطى التي اكتنفتها سائر الدوائر ، وهو أوسط الاقاليم وأعمرها .. وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا ... فالاقليم الرابع الذي فيه العراق ، وفي العراق بغداد ، هو صفوة الأرض ووسطها لا يلحق من فيه عيب سرف ولا تقصير)[١٣] .

وكان سبكتكين المعروف بالحاجب الاكبر ، قد قال لابي القاسم بزياش بن الحسن ما نصه : (قد سافرت الاسفار الطويلة فأي بلد وجدت أطيب وأفضل ؟ .. فقلت له : ايها الحاجب اذا خرجت من العراق فالدنيا كلها رستاق)[١٤] .

وروى أبو القاسم عبيدالله بن علي الرقي – وكان أحد الادباء حيث قال : (أخذ أبو العلاء المعري ، وهو ببغداد يوما يدي فغمزها ثم قال لي : يا أبا القاسم هذا بلد عظيم ، لا يأتي عليك يوم وأنت به الا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم)[١٥] .

---

(١٢) المقدسي ، احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم (ليدن ، ١٩٠٦م) ١١٣ .
(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، (القاهرة ، ١٩٣١) ٢٢–٢٣ .
(١٤) نفسه ، ٤٩/١ .
(١٥) نفسه ، ٤٩/١–٥٠ .

وأكد الامام الغزالي (ت ، ٥٠٥هـ) ان الكسب من مال العراق يورث البركة والخير الوفير ، وقال في حديثه عن سفره من بغداد الى الشام ما نصه : (.. فارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدخر الا قدر الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ، فلم أر في العالم مالا يأخذه العالم لعياله أصلح منه)[١٦].

وقال ياقوت الحموي (ت ، ٦٢٦هـ) عن العراق : (والعراق أعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجا وماء .. وليس بالعراق صواعق كصواعق تهامة ، ولا دماميل كدماميل الجزيرة ، ولا جرب كجرب الزنج ، ولا طواعين كطواعين الشام .. ولا كزلازل سيراف ، ولا كجرارات الاحواز ، ولا كأفاعي سجستان ، وثعابين مصر ، وعقارب نصيبين) ، وقال ايضا : (واقليم بابل موضع اليتيمة من العقد وواسطة القلادة ومكان اللبنة من المرأة الحسناء ، والمحة من البيضة والنقطة من البركاء)[١٧] .

وقال الحميري (ت ، ٧٢٧هـ) عن العراق انه (وسط الدنيا ، ومستقر الممالك ـ الجاهلية ، والاسلامية ـ وعين الدنيا ، وفيه دجلة والفرات ، وهما الرافدان وفيه القواعد العظيمة ، والاعمال الشريفة)[١٨] .

وكتب اهل العراق الى مصقلة بن هبيرة الشيباني عندما غادر العراق الى الشام تاركا الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ومنضما الى معاوية بن أبي سفيان حيث قالوا له: (ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق... فارجع الى مصرك ... واعلم ان رجعتك اليوم خير منها غدا)[١٩] .

---

(١٦) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، تعليق محمد محمد جابر ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٤٨ .

(١٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ (بيروت ، بدون تاريخ) ٩٥ .

(١٨) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ٤١٠ .

(١٩) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢/ ٨٠ .

وروي عن الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان انه ذكر روح بن زنباع فمدحه فقال: (جمع أبوزرعة فقه الحجاز، ودهاء العراق، وطاعة الشام)[٢٠].

وفي رواية ان عبدالملك بن مروان قال عنه: (ان أبا زرعة شامي الطاعة، عراقي الخط ، حجازي الفقه)[٢١] .

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي لايوب بن القرية : (اخبرني عما اسألك عنه ، قال : سلني ما شئت ، قال : اخبرني عن أهل العراق ، قال : أعلم الناس بحق وباطل)[٢٢] .

---

(٢٠) الجاحظ ، البلدان ، تحقيق د. صالح العلي ، منشورات في مجلة كلية الاداب/جامعة بغداد ، العدد ١٢ (بغداد ، ١٩٦٩) ، ٤٨٦-٤٨٧ .
(٢١) الثعالبي ، لطائف المعارف ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ٦١ .
(٢٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ (بيروت ، ١٩٦٨) ٢٤٢ .

المبحث الخامس

ما ورد في القرآن الكريم بحق العراقيين

اولا : وصف الله تعالى لاهل العراق بالبأس الشديد :

ذكر رب العزة والجلالة اهل العراق في القرآن الكريم ، عندما وصفهم بالبأس والشدة ومن يصفه الله تعالى بذلك ، فان هذا الوصف ينطبق على حقيقة مكانة الموصوف لانه تعالى اعلم بما يصف واحـق بما يقول ، قال تعالى : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفســدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)[1] وهنا يمكن ان تتلمس من هــذه الايات الكريمة وهي المعاني التالية :

١ ـ وصف الله تعالى اهل العراق الذين قادهم نبوخذ نصر في حملته على بيت المقدس ، بـ (عبادا لنا اولي بأس شديد) حيث وصفهم تعالــى بأدق معاني الوصف للرجولة والشدة ، قال ابن كثير (اي سلطنا عليكم جندا من خلقنا اولي بأس شديد اي قوة وعدة وعدد وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار اي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم اي

(١) سورة الاسراء الايات (٤ـ٨) .

بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون احدا وكان وعدا مفعولا ...)[2] .

٢ ــ اخبر الله تعالى بان بني اسرائيل سيفسدون في الارض مرتين قال تعالى : (لتفسدن في الارض مرتين) والافساد بمعناه الشمولي الواسع والمتنوع ولعل اسوأه ما ذكره ابن كثير بقوله : (... انهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم .. فانهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الانبياء والعلماء ...)[3] وهذا هو الافساد الاول الشامل الذي قاموا به ، حيث انتقم الله تعالى منهم على هذا الافساد على ايدي العراقيين ، وهنا اشار الى هذا الافساد الاول بقوله تعالى : (... فاذا جاء وعد اولاهما ...) ، واخبر الله تعالى بانهم سوف يفسدون في الارض افسادا شاملا مرة اخرى من خلال قوله تعالى : (... فاذا جاء وعد الاخرة) اي موعد عقوبة الافساد الثاني منهم .

٣ ــ اخبر الله تعالى ان الانتقام من بني اسرائيل في الافساد الثاني سيكون على ايدي اولئك العباد الذين انتقم بهم منهم في افسادهم الاول ، قال تعالى : (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا ...) الى قوله تعالى : (فاذا جاء وعد الاخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ...) . فالعطف هنا على المعنى الاول .

٤ ــ اخبر الله تعالى واعدا بدخول عباده اولي البأس الشديد الذين دخلوا بيت المقدس في المرة الاولى ، سيدخلوه في المرة الثانية كما دخلوه اول مرة ، وان الله تعالى بوعده الصادق يؤكد على دخول العراقيين الى بيت المقدس ، وهذا قدر اخر من قدر الله تعالى في اهل العراق ، وحكمة من حكمه فيهم ، وانهم سيدمرون اليهود في المرة الثانية كما دمروهم في المرة الاوى ، قال تعالى : (فاذا جاء وعد الاخرة) اي الكرة الاخرى

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ (القاهرة ، ١٣٥٨ هـ) ٢٤ــ٢٥ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣/٢٥ .

اي اذا افسدتم في الكرة الثانية وجاء اعداؤكم : (ليسؤا وجوهكم) اي ليهونوكم ويقهروكم ، وليدخلوا المسجد اي بيت المقدس (كما دخلوه في اول مرة) اي في التي جاسوا فيها خلال الديار (وليتبروا) اي يدمروا ويخربوا (ماعلوا) اي ما ظهروا عليه (تتبيرا) اي تدميرا(٤) .

ثانيا : اقتران الايمان النافع باهل نينوى من العراقيين : وصف الله تعالى اهل العراق باهل الايمان النافع ، قال تعالى (فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها ، الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)(٥) فقد اشار الله تعالى الى حقيقة ايمانهم ، وصدق هذا الايمان في قلوبهم بحيث نفعهم ذلك الايمان ودفع عنهم البلاء ، ولنا في التاريخ شواهد كثيرة لامم واقوام تابوا الى الله تعالى عما اقترفوه من آثام وخطايا الا ان الله تعالى لم يقبل توبتهم بل عاقبهم عقابا شديدا ، ذلك لان صدق التوبة تقترن مع صدق الايمان ، فصدق الايمان هو المنجي لاي امة وقوم ، ولذلك ضرب الله تعالى المثل بصدق الايمان عند اهل نينوى من العراقيين وقرن ايمانهم بالايمان النافع .

ثالثا : الله تعالى ... ينزل ملائكته في مدينة بابل :

قال تعالى : (... وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد .. الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ...)(٦) .

قال الطبري (ت ، ٣١٠هـ) : (ذلك ببابل العراق ، وروي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها في قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة ، فذكرت انها صارت في العراق ببابل) ، وروي ان هاروت وماروت كانا ملكين من

---

(٤) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٣/٢٥ .

(٥) سورة يونس ، الاية ٩٨ .

(٦) سورة البقرة ، الاية ١٠٢ .

الملائكة ، فاهبطا ليحكما بين الناس وذلك ان الملائكة سخروا من احكام بني آدم ، قال الطبري : (ان الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما امرهم به ، وجميع ما نهاهم عنه ، ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم ما يأمرون به ، وينهون عنه ، ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم ، فالسحر مما فقد نهى عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر ان يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم ، كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما : (انما نحن فتنة فلا تكفر) ليختبر بها عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجته ، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلم منها ، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك ، لله مطيعين ، وقد عبد من دون الله جماعة من اولياء الله ، فلم يكن ذلك لهم ضائرا ، اذ لم يكن ذلك بامرهم اياهم به ، بل عبد بعضهم ، والمعبود عنه ناه ، فكذلك الملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما ، بعد نهيهما اياه عنه ، وعظتهما له بقولهما : (انما نحن فتنة فلاتكفر ، اذ كانا قد اديا ما امرا به بقبولهما ذلك)[٧] .

---

(٧) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ، ٣١٠) ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٨٧) ٤٢٦–٤٢٧ ، وانظر ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج١ (بيروت ، ١٩٨٣) ١٢٢–١٣١ .

المبحث السادس

ما ورد بحق العراقيين عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

وردت احاديث نبوية شريفة ، ومرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تتعلق بالعراق واهله ، فيروى عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قوله : (بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا ، قام اليه رجل فقال : يا رسول الله وفي عراقنا ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امن العراق انت ؟ قال : نعم ، قال : ان ابي ابراهيم عليه السلام هم ان يدعو عليهم فاوحى الله تعالى اليه لا تفعل ، فاني جعلت خزائن علمي فيهم واسكنت الرحمة في قلوبهم)(١) .

وفي حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (الشام بلد الكرماء ، والعراق بلد النجباء)(٢) .

وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء مدينة بغداد ، وذلك فيما روى الخطيب البغدادي ، في حديثه عن الصحابي الجليل جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين نهر يقال له دجلة ، ونهر يقال له دجيل ، ونهر يقال له الصراة يجتمع فيها ملوك اهل الارض ... وخزائن اهل الارض لهي اشد رسوخا في الارض من السكة الحديد)(٣) .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/٢٤-٢٥ .

(٢) الحديث اورده الشيخ عمر السامرائي في خطبة الجمعة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله .

(٣) سند هذا الحديث كما يرويه الخطيب البغدادي بقوله : (اخبرنا الحسن بن ابي بكر ، قال انبانا عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم البغوي ، قال انبانا عمر بن ابراهيم ابو بكر الحافظ قال انبانا محمد بن عثمان بن مخلد الواسطي قال حدثنا ابو سفيان عبيد الله بن سفيان الفداني قال انبانا سفيان عن عاصم الاحول عن ابي عثمان الهندي عن جرير بن عبد الله .. الحديث ، خطيب ١/٣٢) .

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار ... ودجلة والفرات وهما نهرا العراق .. انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل ، فاستودعها الجبال واجراها في الارض ، وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشتهم ، فذلك قوله تعالى : (وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ...)[٤] .

ويمكن ادراك حقيقة الموقف المشرف الذي وقفه احد العراقيين من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في ازمته مع اهل الطائف ، بعد ان اغروا به سفاءهم وعبيدهم لسبه وشتمه ، والصياح به ، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في موقفه الصعب يقول : (اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وهواني على الناس يا ارحم الراحمين ...) ثم لجأ الى ظل كرمة .. فذهب اليه عداس العراقي من اهل نينوى ، و في يده طبق عنب ، فأكل منه الرسول الكريم ، ثم نظر الى عداس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن اهل اي بلد انت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني، وانا رجل من اهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متي ؟ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك اخي كان نبيا وانا نبي ؟ فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه ...)[٥] .

ويفتخر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالقبائل العربية في العراق وبالاخص قبيلة شيبان التي انتصرت على الفرس في معركة ذي قار ، في العراق حيث فرح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بهذا النصر

---

(٤) سورة المؤمنون ، الاية ١٨ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٥٧٨/١ ـ ٥٨٠ .

العراقي على العجم ، وقال صلى الله عليه وسلم حديثه المشهور الذي جاء فيه : (هذا اول يوم فض الله فيه جنود الفرس بفوارس من بني ذهل بن شيبان) ، و في رواية انه قال : (هذا يوم انتصف به العرب من العجم وبي نصروا)[٦] .

---

(٦) روى عبد الله بن الامام احمد بن حنبل قوله (حدثنا عبد الله قال حدثني ابي عن هيثم عن العوام عن ابراهيم التيمي قال : لما كان يوم ذي قار انتصفت بكر بن وائل من الفرس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انتصفوا منهم اي بكر بن وائل من الفرس ونحوهم .. كان ذلك عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (انظر ، الامام احمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ؛ تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ج٢ (بيروت ١٩٨٣) ص٨٢٤ ، وكتابه العلل ومعرفة الرجال (انقرة ، ١٩٦٣) .

المبحث السابع

عن الصحابة الكرام والتابعين وقادة الأمة وعلمائها

اكدت النصوص التاريخية على عظم مكانة العراق عند الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن خلال استعراض تلك النصوص يمكن ان ندرك هذه الحقيقة ، فيروى انه في سنة ١٤هـ / ٦٣٥م اراد عمر بن الخطاب من القبائل العربية التي تكامل جمعها ان تتجه جميعا نحو العراق لتحريره من الاعاجم ، غير انهم ابوا الا الشام ، وابى الا العراق ، فامضى نصفهم الى الشام ، وامضى النصف الاخر نحو العراق[1] ، وفي رواية انه خاطب المقاتلين العرب قائلا لهم : (اي الوجوه احب اليكم ؟ قالوا : الشام ، فان اسلافنا بها ، فقال بل العراق)[2] ، وخاطب قبيلة النخع بقوله : (ان الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع سيروا مع سعد ،فنزعوا الى الشام ، وابى الا العراق)[3] .

وبعد اصرار الخليفة عمر على تحرير العراق من الفرس ، قرر ان يتجه بنفسه لقيادة الجيش لتحرير العراق ، فعزم عليه الصحابة ان لا يترك المدينة المنورة ، ولذلك اختار سعد بن ابي وقاص لقيادة الجيش العربي المتوجه لتحرير العراق ، فتم له ذلك في اعقاب واقعة القادسية ، وكان قد عقد اجتماعا مع الصحابة الكرام بعد وصول الاخبار بتجمع الفرس في نهاوند عام ٢١هـ / ٦٤١م ، وكان الاجتماع في مقره بالمدينة المنورة فقال لهم : (اشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر ، فقالوا : انت افضل رأيا واحسن مقدرة ، فقال : اشيروا علي به ، واجعلوه عراقيا ، قالوا : يا امير المؤمنين انت اعلم باهل العراق ، وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم ، فقال : اما والله لأولين امرهم

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ، ٣/٤٨٤ .
(٢) نفسه ، ٣/٤٦٢ ، ٤٦٣ .
(٣) نفسه ، ٣/٥٨٣ .

رجلا ليكونن لاول الاسنة اذا لقيها غدا ، فقيل : من يا امير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني ...)[٤] .

وبعد ان فتح الله للعرب في نهاوند ، اعتمد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على اهل العراق لتنفيذ العمليات العسكرية بالمشرق ، وذلك لادراكه حقيقة اهل العراق ، قال الطبري : (امر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت ، وامر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير الى ارض فارس ، وكرمان ، واصبهان ، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها الى أصبهان واذربيجان والري)[٥] .

وبعد ان فتح الله البلاد ، اراد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) زيارة العراق ، حيث كتب فيما روي الى احد حكماء عصره ما نصه : (انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد ان تتبوأ الارض ، ونسكن البلاد والامصار ، فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والاهوية في مساكنها ، فكتب اليه ذلك الحكيم : (اعلم يا امير المؤمنين ان الله قد قسم الارض اقساما .. واعلم يا امير المؤمنين ان الله تبارك وتعالى قسم الارض اقساما شرقا وغربا شمالا وجنوبا ... فضل بعضها على بعض فافضل اقسامها العراق ، فهو سيد الافاق ، وقد سكنه اجيال وامم ذوو كمال)[٦] .

وفي رواية ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : (اني قد بدا لي ان اطوف على المسلمين في بلدانهم لانظر في اثارهم ، فاشيروا علي وكعب الاحبار في القوم ، فقال كعب : بأيها تريد ان نبدأ يا امير المؤمنين ؟ قال : العراق ، فقام اليه علي بن ابي طالب فقال : يا امير المؤمنين والله ان الكوفة للهجرة بعد الهجرة وانها لقبة الاسلام ...[٧] » .

(٤) نفسه ، ٤/١٢٥-١٢٦ .
(٥) نفسه ، ٤/١٣٧ .
(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/٦١ ، ٦٤ .
(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ، ٤/٥٨-٥٩ .

وفي رواية ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما اراد الشخوص الى العراق ، حينما بلغه ما عليه الاعاجم من الجمع ببلادهم ، سأل كعب الاحبار عن العراق ، فقال : (يا امير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ، ألحق كل شيء بشيء ، فقال العقل : انا لاحق بالعراق ، فقال العلم وانا معك ، فقال المال وانا لاحق بالشام ، فقالت الفتن وانا معك ، فقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك . فقال الفقر انا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك ، فقال الشفاء وانا لاحق بالبوادي ، فقالت الصحة وانا معك[8] فاختر لنفسك ، فقال عمر ، فالعراق اذا ، فالعراق اذا)[9] .

واخيرا قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مقولته المشهورة في العراقيين : (اهل العراق ، كنز الايمان ، وجمجمة العرب وهم رمح الله يحرزون ثغورهم ويمدون الامصار)[10] .

وقال الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مخاطبا اهل الكوفة :

(يا اهل الكوفة انتم اخواني وانصاري واعواني على الحق ، ومجيبي الى جهاد المحلين ، بكم أضرب المدبر ، وارجو اتمام طاعة المقبل ..) فقال له اهل الكوفة ، واهل البصرة : (سر بنا يا امير المؤمنين حيث احببت ، فنحن حزبك وانصارك ، نعادي من عاداك ، ونشايع من اناب اليك والى طاعتك ، فسر بنا الى عدوك كائنا من كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فأبشر يا امير المؤمنين بالنصر)[11] .

وخاطب اهل العراق قائلا : (يا ايها الناس ... وانكم اهل العراق ... وقد زعم معاوية ان اهل الشام اهل صبر ونصر ، ولعمري لانتم اولى بذلك

---

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/٦٤-٦٥ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١/٤٨ .
(٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/١٢٥ .
(١٠) نفسه ، ١/١٢٥ رواه شمر بن عطية عن رجل عن عمر بن الخطاب .
(١١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢/١٢٤-١٢٥ .

منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحســان . وانما الصبر اليوم والنصر غدا)[١٢] .

وخاطب مرة اخرى اهل العراق قائلا : (... وان اصحاب الحرب لا يتوجدون ، ولا يتوجعون ، ولا يسأمون من سهر ليلهم ، ولا من ظمأ نهارهم ، ولا من خمــص بطونهم حتى يدركوا بثأرهم ، وينالوا بغيتهم ومطلبهم .. وانتم فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمجتهدون بالاسحــار والعباد والزهاد في الدنيا وعما رالمساجد واهل تلاوة القرآن .. وان الله مع الصابرين)[١٣] .

وكان الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) قد وصف اهل العراق بالغنى والرجولة حينما قال : (الاموال والرجال في العراق)[١٤] .

وقال الصحابي الجليل مالك بن انس (رضي الله عنه) : (لما حشر الله الخلائق الى بابل .. لم يزل ينادي من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا ... وهبطت ملائكة الخير والشر ، وملائكة الحياء والايمان والشرف والمروءة والجفاء والجهل والسيف والبأس وملائكة الغنى .. حتى انتهى الى العراق ، فقال بعضهم لبعض افترقوا فقال ملك الغنى انا اقيم ههنا ... وقال ملــك المروءة : وانا معك وقال ملك الشرف ، وانا معكما ، فاجتمع ملك الغنــى والمروءة والشرف بالعراق)[١٥] .

وقال عمرو بن العاص في كتابه الى الامام عبــد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : (... واعلم ان الشام لا تهلك العراق)[١٦] .

---

(١٢) نفسه ، ٢/٩٣ .
(١٣) نفسه ، ٢/١٣٣–١٣٧ .
(١٤) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١٤٣ .
(١٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/٣١٠ .
(١٦) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١/٩٨ .

المبحث الثامن

ما ورد بحق العراقيين .. من مدح وثناء

اشاد العلماء والمؤرخون بسكانة العراقيين ، وابرز من تحدث في هذا الجانب المؤرخ ابو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ، ٢٢٥) الذي قال : (اهل العراق هم اهل العقول الصحيحة ، والاراء الراجحة ، والشهوات المحمودة ، والشمائل الظريفة ، والبراعة في كل صناعة ، مع اعتدال الاعضاء ، واستواء الاخلاط ، وسمرة الالوان، وهم الذين انضجتهم الارحام)[1].

وكان سليمان بن موسى : (يضرب المثل بخلق العراقيين) ويقول : (اذا كان علم الرجل حجازيا ، وخلقه عراقيا ، وطاعته شامية فقد كمل)[2] .

وقال الجاحظ : (ت ، ٢٥٥) : (الامصار عشرة ، فالصناعة بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ، والخير ببغداد ، والغدر بالري ، والحسد بهراة والجفاء بنيسابور ، والبخل بمرو ، والطرمذة بسمرقند ...)[3] .

وخص المؤرخ اليعقوبي (ت ، ٢٨٤) : في مدحه وثنائه اهل اقليم العراق ، فقال عنه وعن اهله : (وهو الاقليم الاوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الازمان والفصول ... وعذب الماء ، وزكت الاشجار ... وحسنت اخلاق اهلها ونضرت وجوههم وانفتقت اذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة فليس عالم اعلم من عالمهم ، ولا اروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/٥٠ .
(٢) نفسه ، ١/٥٠ .
(٣) نفسه ، ١/٤٩ .

نحويهم ، ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطببهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من منطقيهم ولا اعبد من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم)[٤] .

وعن العراق واهله يقول ابن حوقل (ت ، ٣٤٠) : (واهله فأوفرهم عقولا ، واوسعهم حلوما ، وافسحهم فطنة في سالف الزمان والامم الخالية ، وبمثله تجري امور امة الاخرة ، يقر بذلك لهم اهل الطاعة والفضائل ولا يمتري فيه اهل الدراية والخصائل)[٥] .

وعن العراقيين يقول الهمداني (ت ، بعد ٣٤٤) : (.. فصار اصحاب هذه البقاع اصحاب ادب وحكمة وعلم بالنجوم وخبرة بالعلوم التعليمية واصحاب رصد الكواكب والقياس ولهم ذكاء وفطنة) .

وقال المسعودي (ت ، ٣٣٦هـ) عن اهل العراق : (... وبذلك اعتدلت الوان اهله ، واقتدرت اجسامهم ، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة ، وسواد الحبشة ، وغلظ البربر ، ومن جفا من الامم ، واجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار ، وكما اعتدلوا في الجبلة كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الامور)[٧] .

وقال المسعودي ايضا : (وسمي العراق بلد السباع ، لان السباع تدعى بالنبطية اريان ، احدها اريا ، فشبهوا بالسباع لشدة بأسهم وشجاعتهم وعظم ملكهم وكثرة جنودهم)[٨] .

وقال ايضا عن العراق واهله : (فصفت امزجة اهله ، ولطفت اذهانهم ، واحتدت خواطرهم ، واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء ، وقويت عقولهم ،

---

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ٣ ، ٢١ .
(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ٢١٠ .
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب (بغداد ، دار الشؤون الثقافية) ٤٣ .
(٧) المسعودي ، مروج لذهب ، ٢/٦٥-٦٦ .
(٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ٣٨ .

وثبتت بصائرهم .. ولاهله اعدل الالوان ، وانقى الروائح ، وافضل الامزجة ، واطوع الفوائح ، وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات ...)[٩] .

وقال ايضا : (وقد وصف بعض اهل المعرفة سكان هذا الصقع الشريف وهو العراق ، فقال : هم اهل العقـول الصحيحة ، والشهوات المحمودة ، والشمائل الموزونة ، والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط ، وسمرة الالوان ، وهي اعدلها واقصدها يستدل على اعتدال مزاج باطن ابدانهم بالذي يرى من السمرة الظاهرة في الوانهم ، واعتدال اعضائهم ، احسن الناس الوانا ووجوها واتمهم حلما وفهما فهم اهل العلم والخبر ، وذلك لامتزاج صقعهم من حـر الجنوب وبرد الشمال ، وغلـب عليهم المشتري لامتزاجه من برد فلك زحل ، وحرارة فلك المريخ فأعتدلوا . كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الامور ، وكيف لا يعرفون كذلك وهم ارباب الوافدين ، واصحاب الرافدين مـن دجلـة والفرات والثمانية والاربعين طسوجا)[١٠] .

وقال ابن الفقيـه الهمداني (ت ، ٣٦٥) : (فالدنيـا العـراق والناس اهلها)[١١] ، وقال ايضا : (اهل العراق هم اهل عقول صحيحة وشهوات محمود ، وشمائل موزونة وبراعة في كل صناعة مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط ، وسمرة الالوان ، وهي اعدلها واقصدها ، وهم الذين انضجتهم الارحام)[١٢] .

---

(٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ٦٣/٢ .

(١٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ٤١ .
الطسوج : هي الناحية ، لان العراق كان يتكون اداريا حينذاك من ثمانية وعشرين طسوجا (المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ٤١) .

(١١) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد مدينة السلام ، ٧٤ .

(١٢) ابن الفقيه ، مختصر لبلدان ، ١٦٢ .

وعن العراق وبغداد يقول الخطيب البغدادي (ت ، ٤٦٣هـ) : (هو صفوة الارض ووسطها ، لا يلحق من فيه عيب سرف ولا تقصير ولذلك اعتدلت الوان اهله وامتدت اجسامهم ، وسلموا من شقرة الروم والصقالبة ، ومن سواد الحبش ، ومن غلظة الترك ، ومن جفاء اهل خراسان ، ومن دمامة اهل الصين ، ومن جانسهم وشاكل خلقهم ، فسلموا من ذلك كله ، واجتمعت في اهل هذا القسم من الارض محاسن جميع اهل الاقطار بلطف من العزيز القهار ، وكما اعتدلوا في الخلقة كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والادب ومحاسن الامور وهم اهل العراق)[١٣] .

وقال ابو العلاء المعري لابي القاسم عبيد الله بن علي الرقي — وكان احد الادباء — يا ابا القاسم هذا بلد عظيم لا يأتي عليك يوم وانت به الا رأيت فيه من اهل الفضل من لم تره فيما تقدم)[١٤] .

وقال ياقوت الحموي (ت ، ٦٢٦هـ) : (فلذلك كان اهل العراق هم اهل العقول الصحيحة والاراء الراجحة .. والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة)[١٥] .

ووصف القزويني (ت ، ٦٨٢هـ) العراقيين فقال : (انهم اصحاب الابدان الصحيحة والعقول الوافرة ، والاراء الراجحة ، وأرباب البراعة في كل صناعة)[١٦] .

ويقول الابشيهي (ت ، ٨٥٠هـ) : (اهل العراق اطلب الناس للعلم)[١٧] .

---

(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/٢٣ .
(١٤) نفسه ، ١/٤٩-٥٠ .
(١٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/٩٥ .
(١٦) القزويني ، اثار البلاد ، في مادة العراق .
(١٧) الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج١ (بيروت . بدون تاريخ) ٣٣ .

المبحث التاسع

ما ورد في مدح بغداد وأهلها

قال الشاعر :

أبو سعد علي بن محمد بن خلف النيرماني المتوفى سنة ٤١٤ هـ عن بغداد[1]

فدى لك يا بغداد كل قبيلة
من الارض حتى خطتي وديارِيا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها
وسيرت رحلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا
ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلا
وأعذب ألفاظا وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودك صادقا
لبغداد لم ترحل فكان جوابيا :
يقيم الرجال الاغنياء بأرضهم
وترمي النوى بالمعسرين المراميا

تعد بغداد تاريخا مشرقا مشرفا لما تحمله من قيم ، بل هي مفخرة للعراق لانه يحتويها بين سنية الموغلة ، علما شامخا يزدهي بها ويشمخ بشموخها

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١/٥٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١ (بيروت ، ١٣٩٩ هـ) مادة بغداد .

فهي : (ام الدنيا وسيدة البلاد)[1] وهي : (مدينة السلام ، وجنـة الارض ، وقبة الاسلام ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ومجمع المحاسـن والطيبـات ، ومعدن الظرائف واللطائف وبها ارباب الغايات في كل فن واحاد الدهر في كل نوع)[2] بهذه العبارات يصف ياقوت الحموي (ت ، ٦٢٦ هـ) مدينة الحب والخير والجمال ، وحق له ان يصفها بجنة الارض ومدينة السلام لانها كانـت ومازالت كذلك .

وقد نقل ياقوت عن ابن مجاهد المقرىء انه قال : (رأيت ابا عمرو بن العلاء في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : دعني مما فعل الله بي ، من اقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة)[3] ، ونقـل عن ابي الفرج قوله : (هي مدينة السلام ، بل مدينة الاسلام فان الدولـة النبوية والخلافة الاسلامية بها عششتا وفرختا ، وضربتا بعروقهما ، وبسقتا بفروعهما ، وان هواءها اغذى من كل هواء ، وماءها اعذب من كل ماء وان نسيمها ارق من كل نسيم ... ولم تزل بغداد ... منزل الخلفـاء في دولـة الاسـلام)[4] .

وكانت بغداد قبل بنائها تسمى المباركة[5] ، واما سبب تسميتها مدينـة السلام لان دجلة كان يقال له وادي السلام فقيل لبغداد مدينـة السلام[6] وقال ابن الفقيه الهمداني (ت ، ٣٦٥ هـ) : (سميت مدينـة السـلام أراد

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٥٦/١ .
(٢) نفسه ، ٤٥٦/١ ، ٤٦١ .
(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٦/١ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤٦٣/١ .
(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ٤٦١/١ ، وينظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٥٢/٦ .
(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢١/١ .
(٦) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد مدينة السلام ، ٢٧ .

انها مدينة الله لان الله هو السلام المؤمن)[٧] وقال ابو الحسن أحمد بن جعفر بن المنادي : (ان بغداد سميت حين سكنت مدينة السلام ، فليس في الارض مدينة على هذا الاسم غيرها ، وان بعض اخواننا اذا ذكرها يقرأ قول الله تعالى: (بلدة طيبة ورب غفور)[٨]،ثم سميت الزوراء لانعطافها بانعطاف دجلة••• وبعضهم يسميها الصيادة لانها تصيد قلوب الرجال[٩] ، فقال ابو بكر بن عياش : (الاسلام ببغداد ، وانها لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا)[١٠] .

ما ورد في وصف بغداد ومدنها :

قال اليعقوبي (ت ، ٢٨٤ هـ) : (وانما ابتدأت بالعراق لانها وسط الدنيا ، وسرة الارض ، وذكرت بغداد لانها وسط العراق ، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة المياه وصحة هواء ••• وآثرها جميع اهل الآفاق على أوطانهم •• فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا ، ثم يجري في حافتيها النهران الاعظمان دجلة والفرات ، فيأتيانها بالتجارات والمير برا وبحرا بايسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فانه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان القاصية والدانية حتى يكون بها من التجارات اكثر مما في البلدان القاصية والدانية حتى منها اليها ، وهي مدينة بني هاشم ودار مملكتهم ومحل سلطانهم لم يستبد بها احد قبلهم ولم يسكنها سواهم حتى كانما سيقت اليها خيرات الارض وجمعت فيها ذخائرها الدنيا وتكاملت بها بركات العالم •• ولها الاسم المشهور والذكر الذائع ، ثم هي وسط الدنيا

---

(٧) نفسه ، ٢٧ .
(٨) سورة سبأ ، الاية (١٥) ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/ ٥٠ .
(٩) الحميري ، الروض المعطار في خير الاقطار (بيروت ، ١٩٧٥) ١٠٩-١١٢ .
(١٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٧/١ .

لانها على ما اجمع عليه قول الحساب وتضمنته كتب الاوائل من الحكماء في الاقليم الرابع ، وهو الاقليم الاوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الازمان والفصول ، فيكون الحر بها شديدا في ايام القيظ والبرد شديدا في ايام الشتاء ، ويعتدل الفصلان الربيع والخريف في أوقاتها ويكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء ، ودخول الربيع الى الصيف غير متباين الهواء ، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء الى هواء ، ومن زمن الى زمان ، فلذلك اعتدل الهواء وطاب الثوى ، وعذب الماء ، وزكت الاشجار ، وطابت الثمار ، وأخصبت الزروع ، وكثرت الخيرات ، وقرب مستنبط معينها ، وباعتدال الهواء ، وطيب الثرى ، وعذوبة الماء ، حسنت اخلاق أهلها ، ونضرت وجوههم ، وانفتقت اذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة واحكام كل مهنة واتقان كل صناعة ، فليس عالم اعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا اجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من نحويهم ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطببهم ، ولا احذق من كاتبهم ولا ابين من منطيقهم ، ولا أعبد من عابدهم ولا أورع من زاهدهم ، ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ولا اشعر من شاعرهم .. فلما افضت الخلافة الى بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد العباس بن عبدالمطلب عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم وكمال آرائهم في فضل العراق وجلالتها وسعتها ، ووسطها للدنيا ، وانها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل الخربة الارض المتصلة الطواعين ، الجافية الاهل ، ولا كمصر المتغيرة الهواء الكثيرة الوباء .. ولا كأفريقية البعيدة عن جزيرة الاسلام ، وعن بيت الله الحرام الجافية الاهل الكثيرة العدد ، ولا كأرمينية النائية الباردة .. التي يحيط بها الاعداء ، ولا مثل كور الجبل الحزنة الخشنة المثلجة .. ولا كأرض خراسان الطاعنة في مشرق الشمس التي يحيط بها من جميع أطرافها عدو كلب ومحارب حرب ... ولا كالتبت التي بفساد هوائها وغذائها تغيرت ألوان اهلها من

غيرها فصفرت أبدانهم وتجعدت شعورهم .. فلما ولي ابو جعفر المنصور الخلافة .. بنى مدينة بين الكوفة والحيرة سماها الهاشمية .. وأقام بها مدة الى ان عزم على توجيه ابنه المهدي لغزو الصقالبة في سنة اربعين ومئة فصار الى بغداد فوقف بها ، قال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقيل له بغداد ، قال والله المدينة التي اعلمني أبي محمد بن علي ان أبنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي ، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام حتى يتم تدبير الله الي وحكمة في .. فالحمد لله الذي ذخرها لي ، واغفل عنها كل من تقدمني والله لابنيها ثم اسكنها ايام حياتي ويسكنها ولدي من بعدي ، ثم لتكونن اعمر مدينة في الارض ...)[11] .

وقال ابن حوقل (ت ، ٣٤٠ هـ) عن بغداد : (مدينة السلام محدثة في الاسلام ابتناها ابو جعفر المنصور)[12] .

وقال ابو معاوية : (هي دار دنيا واخرة)[13] .

وقال القاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي : (كان يقال من محاسن الاسلام يوم الجمعة ببغداد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس)[14] .

وقال ابو اسحق الزجاج : (بغداد حاضرة الدنيا وماعداها بادية)[15] . وقال الجاحظ (ت ، ٢٥٥ هـ) : (الصناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والخير ببغداد)[16] .

---

(١١) اليعقوبي ، البلدان ، ٣-٢١ .
(١٢) ابن حوقل ، صورة الارض .
(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٧/١ .
(١٤) نفسه ، ٤٧/١ .
(١٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ، ٤٦١/١ .
(١٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ ٤٩/١ .

وقال الخطيب البغدادي (ت ، ٤٦٣ هـ) : (من حضر الجمعة ببغداد عظم الله في قلبه محل الاسلام ، لان شيوخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد)[١٧] .

وقال ابو الوليد : (قال لي شعبة ، ادخلت بغداد ؟ قلت لا ؟ قال : فكأنك لم تر الدنيا) [١٨] .

وكان يزيد بن مزيد ، يسامر الخليفة الرشيد فقال له الخليفة : (يا اعرابي هل لك في هذه السكة دار ؟ قال قلت : لا ؟ قال : اتخذ فيها دارا فانها سكة الدنيا)[١٩] .

وقال عنها ابن عبد ربه (ت ، ٣٢٨ هـ) : (وهي مدينة السلام ، وهي دار خلافة بني هاشم)[٢٠] .

وقال ابو القاسم رياش بن الحسن : (سافرت الافاق ودخلت البلدان من حد سمرقند الى القيروان ، ومن سرنديب الى بلد الروم فما وجدت بلدا افضل ولا أطيب من بغداد ، وقال : اذا خرجت من العراق فالدنيا كلها رستاق)[٢١] .

وقال احمد بن ابي طاهر : قيل لرجل كيف رأيت بغداد ؟ قال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها [٢٢] . وقال اخر : لو ان الدنيا خربت وخرج اهل بغداد لعمروها[٢٣] . وروي ان ابن العميد كان اذا طرأ عليه احد من منتحلي

---

(١٧) نفسه ، ٤٧/١ .
(١٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٤٥/١ .
(١٩) نفسه ، ٤٥/١ .
(٢٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٥٢/٦ .
(٢١) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٤٩/١ .
(٢٢) نفسه ، ٤٥/١ ، ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ٦١ .
(٢٣) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ١٠٩-١١٢ .

العلوم والاداب ، وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد ، فان فطن بخواصها ، وتنبه على محاسنها ، واثنى عليها جعل ذلك مقدمة فضله ، وعنوان عقله ، ثم سأله عن الجاحظ فان وجد اثرا لمطالعة كتبه والاقتباس من نوره والاغتراف من بحره ، وبعض القيام بمسائله قضى له بانه غرة شادخة من اهل العلم والادب وان وجده ذاما لبغداد غفلا عما يجب ان يكون مرسوما به من الانتساب الى المعارف التي يختص بها الجاحظ لم ينفعه شيء من المحاسن ، ولما رجع الصاحب من بغداد سأله ابن العميد فقال : بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد فجعلها مثلا في الغاية في الفضل)[٢٤] .

وعن بغداد قال المقدسي (ت ، ٣٩٠ هـ) : بغداد في مصر الاسلام ، وبها مدينة السلام ، ولهم الخصائص والظرافة والقرائح واللطافة هواء رقيق وعلم دقيق ، كل جيد بها ، كل حسن فيها ، وكل حادق فيها ، وكل ظرف لها وكل قلب اليها ، وكل حرب عليها ، وكل ذب عنها ، هي اشهر من ان توصف واحسن من ان تنعت واعلى من ان تمدح[٢٥] . ومن خيرة واصفيها جلال قدر ومكانة الامام الشافعي رحمه الله فقد روى يونس بن عبد الاعلى قائلا قال لي محمد بن ادريس الشافعي يا يونس ادخلت بغداد ؟ قلت لا قال : يا يونس ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وروي انه قال في حقها كذلك ما دخلت بلدا قط الا عددته سفرا الا بغداد فاني حين دخلتها عودتها وطنا)[٢٦] .

وذكر بطليموس في برج المدينة والحق ان يكون طالع مدينة السلام وطالع منشئها واحدا وذلك لسعادتها واتفاق جميل الوصف لها وفيها[٢٧]

---

(٢٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٦١/١ .

(٢٥) المقدسي ، احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم ، ١١٨-١١٩ .

(٢٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٥/١،٤٦ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤٦٣/١ .

(٢٧) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ١٩٨٩ .

وقال ابو بكر عياش (هي اليوم مصر العرب) وكان بعضهم يقول (بغداد دار دنيا واخرة)[٢٨] .

وروي ان عبدالملك بن صالح بن علي العباسي قدم الى بغداد فرأى كثرة الناس بها (فقال ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة الا ظننت ان الناس قد نودي بهم)[٢٩] .

ووصف الجاحظ بغداد ابلغ وصف وأدفعه حينما قال : (رأيت المدن المذكورة بالاتقان والاحكام ببلاد الروم والشامات وغيرها . فلم أر مدينة قط ارفع سمكا ولا اجود استدارة ولا أوسع ابوابا ولا أبهى عقودا ولا أحكم سورا .. من مدينة المنصور فكأنما صبت صبا في قالب وأفرغت أفراغا في در)[٣٠] ، وكيف لا تكون دار سعادة أذا كان العيش فيها يصفو للمتعبد وللاهي وللمتودد على حد قول بعض الادباء[٣١] (فهي محروسة مضبوطة كالجنة بين حماة وكنة .. يحسدانها ودجلة والزاب يتباريان عليها ، كما وصفها المنصور لبعضهم حين استخبره عن بغداد)[٣٢] ، وقال أحد التجار الذين زاروا بغداد (فاذا كانت هذه بغدادكم فأين الدنيا والاخرة)[٣٣] ، وقال الشيخ أسحق بن حسين المنجم (حوالي القرن الخامس الهجرى) : (وأنما رجعنا الى ذكر مدينة بغداد بعد تقديم ما وجب تقديمه لانها أصل المدائن وأحسنها بنيانا وأطيبها هواء وهي في وسط الاقليم الرابع الذي هو أعز الاقاليم وأهلها أعظم الناس في ضروب اللب والفهم)[٣٤] .

(٢٨) نفسه ، ١٠٨ .
(٢٩) نفسه ، ١٠٨ .
(٣٠) نفسه ، ٦٤ .
(٣١) نفسه ، ٦٣ .
(٣٢) نفسه ، ٦٢ .
(٣٣) نفسه ، ٧٥ .
(٣٤) اسحق بن حسين المنجم ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان طبعة بالاوفسيت (بغداد ، بدون تاريخ) ص٤-٥ .

وقال القزويني (ت ، ٦٨٢هـ) (بغداد أم الدنيا ، وسيدة البلاد وجنة الارض ومدينة الاسلام ، وقبة الاسلام ، ومجمع الرافدين ، ومعدن الظرائف ومنشأ أرباب الغايات ، هواؤها الطف من كل هواء ، وماؤها أعذب من كل ماء وتربتها أطيب من كل تربة ، ونسيمها أرق من كل نسيم ٠٠ وبغداد هي مدينة عظيمة كثيرة الاهل والخيرات والثمرات تجبى اليها لطائف الدنيا وظرائف العالم اذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس الا ويحمل اليها ، فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها ومعدن لارباب الغايات وأحاد الدهر في كل علم وضعه)[٣٥] .

وقال خيرالدين الكازروني (ت ، ٦٩٧) عن بغداد ما نصه : (حدثنا قاضي تبريز ، وهو من ثقات وسادات المحدثين قال كنت لا اريم عن بلدي المألوف ولو رغبت بالالوف ، وكنت ظنينا أن افارق بلدة تربتها نيطت علي التمائم ، الا أني كنت أسمع من جواب الاقطار وطراق البلاد والامصار أن دار السلام هي كعبة الاسلام وحرم الامام ، ومعدن الكرام ودار الخلافة ومحل الامن من المخافة ، وبها قصر الملك وسريره وأمام العصر وأميرة خليفة الله وابن عم نبيه الاواه تذعن الملوك بالطاعة لسلطانها ، وتتداكك على ابوابها لتتقبل أركانها والعدل بها محدود الرواق والعلم مديد الاطناب في الافاق والدين منشور اللواء والاسهم محروس الجناب بالخلفاء وقطانها أعذب الناس أخلاقا وأكثرهم حياء واطرافا وأثقب العالم بصيرة وأعدلهم سيرة وأصفاهم سريرة وأدمثهم للصديق ، وأحناهم على الصاحب والرفيق وزادهم العلم المشهور والقدوة المشار اليه في الامور وعوامها السوقه تغتنم مفاكهتهم وتروق مجالستهم ، أخلاقهم عذبة للصاحب وخواطرهم من أعجب العجائب يسبق أدراكهم البرق اللامع ويدهش ذكاؤهم ذا الرأي والسامع ، قد اعتدل هواؤها وطاب فناؤها ، وعذب ماؤها ، ورقت

---

(٣٥) القزويني ، اثار البلاد ، ٣٠٣ .

أسحارها ، ووفت أشجارها ، فهم في خفض من العيش يتقبلون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ، فخطر ببالي في بعض الليالي ان ألبس سربالي وأفارق أشبالي وأجعل على الله أتكالي في قطع فيافي البيداء ورفض الدعة للحث الى الزوراء ، فرأيت في المنام قائلا أسمع نداءه ولا أتحقق مرآه ويملأ سمعي صوته وان كنت لا أراه يقول (فاذا عزمت فتوكل على الله)[٣٦] .

وروى ابن طباطبا عن بغداد في معرض حديثه عن سعدها بأنها مدينة مبروكة مباركة مسعودة فلم يمت بها خليفة قط[٣٧] .

وقال الباكوري الذي كان حيا سنة ٨٠٦هـ ان : (بغداد سيدة البلاد مدينة السلام هواؤها ألطف من كل هواء وماؤها أعذب من كل ماء ، وتربتها أطيب من كل تربة ، ونسيمها أرق من كل نسيم ، وهي المدينة العظمى كثيرة الاهل والخيرات والثمرات ، يجبى لطائف الدنيا ، وظرائف العالم لها ..)[٣٨] .

---

(٣٦) سورة آل عمران الاية (١٥٨) ، والنص انظر ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمود بن الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق كوركيس عواد ، وميخائيل عواد ، منشور في مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص٤٢٧–٤٢٨ وما بعدها .

(٣٧) ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية (بيروت ، ١٩٦٦) ١٦٣ .

(٣٨) الباكوري ، كان حيا سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣–١٤٠٤ عبد الرشيد صالح بن نوري ، تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار ، مخطوطة باريس الفريدة المرقمة ٥٨٥–٩٤٥ عربي نقلت عن نسخة كتبت سنة ٨١٦ نقلها علي المصري نزيل اللاذقية نقلا عن مجلة المورد م٨/العدد ٤ (بغداد ، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩) ص٤٧٦ .

ووصف بعض الادباء بغداد فقال هي سهلية جبلية برية بحرية ، صيدها غزير ، وخيرها كثير طيب ، هواؤها أيسر ، فناؤها دائم ، رخاؤها ، فضلها على سائر البلدان كفضل ماء البحار فهي كما قال عمارة :

ماذا ببغداد من خير أفانين ومن منازل للدنيا وللدين
تمسي الرياح بها حسرى اذا درجت وحرشت بين أغصان الرياحين

هي محل الخلفاء ، ومسكن الوزراء ، ومأوى بني هاشم والانبياء ، ومقرهم ومنزعهم في الشدائد والرخاء ، الواسعة الدور ، الكثيرة القصور الغزيرة الانهار المرية العيون صيحة البناء رحبة الفناء نزهة الهواء رفيقة بالغرباء مواتية لكل من أتاها ، مغيثة لمن استغاثها ... طيبة التربة ، مسكن من تغنى ومعتل من تنسك بناها المنصور وسكنها المهدي والهادي والامين والمأمون جنة من جنان الدنيا دجلة في وسطها .. اذا غضب على جبار عات حمل اليها .. مواكبها قائمة ومنائرها عالية .. الظرف فيها يقتبس والشكل فيها يستوصف، مكان الرياسة ، ومقبس السياسة ، فهي جنة مونقة وحديقة مشرقة ، وعروس في مجاسدها وكللها وحجابها ، شهية المنظر ، جميلة المخبر ، صبيحة مليحة . ظاهرة الوسامة ، دمثة التراب ، مربعه الجناب غدقة الشارع وطية المضاجع ، تردف عيون الناظرين ، وتسر قلوب المتأملين ويعيش في أفنيتها الفقراء والمساكين .. معشوقة محببة الى الخلفاء وولاة العهود والوزراء دار ملكهم ومعدن صيدهم ومنتهى غاية لذاتهم موفرة لغلاتهم مباركة عليهم شامخة البناء عريضة الفناء فياحة السطوح نزهة البساتين كثيرة الاشجار والرياحين، مفزع كل ملهوف ، ومعدن كل تاجر معروف ، وحسبك ببلدة قد جمع الله فيها ما فرقه في غيرها من البلدان أنواع التجارات وأصناف الصناعات ، فهي سلة الدنيا وخزانة الارض ، معدن العلم ، وينبوع الحكمة ليس لها مشأة كمشأة الجبال .. ولا صواعق كصواعق تهامة ، ولا دماميل كدمامل الجزيرة ، ولا جرب كجرب الزنج ، ولا طواعين كطواعين الشام ..

وليس فيهـا ثعابين كثعابين مصـر ، ولا أفاعـي سجستـان ولا عقارب نصيبين ، ولا جرارات الاحـواز .. وأهلهـا ظـرفاء فضـلاء ، فيهـم الجمال ولباسهم الكمال ..)[٣٩] .

ومن وصفها وراح يعدد مناقبها الفريدة التي ميزها الله بها عن سائر بلدان الدنيا واحصى مناقب أهلها وكرم أخلاقهم ، أبو الحسين أحمد بـن جعفر المنادي على ما رواه لنا الخطيب البغدادي اذ قال (هذا الى تركنا ذكر أشياء كثيرة من مناقبها التي أفردها الله بها دون سائر الدنيا شرقا وغربا . وبين ذلك من الاخلاق الكريمة والسجايا المرضية ، والمياه العذبة الغدقـة والفواكه الكثيرة الدمثة والاحوال الجميلة ، والحذق في كل صنعة ، والجمع لكل حاجة والامن من ظهور البدع ، والاغتباط بكثرة العلماء والمتعلمين ، والفقهاء والمتفقهين .. ومجيدي الشعراء ، ورواة الاخبار ، والانساب وفنون الاداب ، وحضور كل طرفة ، وأجتماع ثمار الازمنة في زمن واحد ، لا يوجد ذلك في بلد من مدن الدنيا الا بها سيما الخريف ، ثم ان ضاق مسكن بساكن وجد خيرا منه ، وان لاح له مكان احب اليه من مكانه لم يقدر عليه النقلة اليه من أي جانب من جانبيه أراده ، ومن أي طرف من أطرافه خفي عليه ، وان آثر ان يستبدل دارا بدار ، أو سكة بسكة أو شارعا بشارع او زقاقا بزقاق فغير ذلك من التبديل اتسع له الامكان في ذلك ، حسب الحالة والوقت ثم عيون التجار المجهزين ، والسلاطين المعظمين ، وأهل البيوتات المبجلين في ناحيـة تنبعث الخيرات بهم الى الذين هم في الحال دونهم غير منقطع ذلك ولا معقود، فهي من خزائن الله العظام التي لا يقف على حقيقتها الا هو وحده ، ثم هي مع ذلك منصورة محبورة كلما ظن عدو الاسلام انه فائز باستئصـال أهلها كبته الله ، وكبه لمنخريه ، واستئصلت قدرته بما ليس في تقدير الخلق أجمعين فضلا من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم)[٤٠] .

---

(٣٩) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ٦١-٦٢ .

(٤٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١/٥٠-٥١ .

وعندما زارها الرحالة ابن جبير قال عنها (هذه المدينة العتيقة ، وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية .. ودجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرأة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين ، فهي تردها ولا تظمأ ، وتتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ، والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ ، هو من ذلك على شهرة ، في البلاد معروفة موصوفة ففتن الهوى ، الا أن يعصم الله منها مخوفة)(٤١) . شواهد في مدح علم أهل بغداد وأخلاقهم :

بغداد هذه المدينة التي كانت وما تزال أم الدنيا أنجبت الاعلام وهي بحق نجيبة الدنيا لان أهلها كانوا وما زالوا أصحاب رأي صائب وعلم وبحث دائب وشجاعة واقدام ورفعة .

روي الخطيب البغدادي(٤٢) ان البغداديين أرغب الناس في طلب الحديث وأشدهم حرصا عليه وأكثرهم كتابة له .. فهم موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في أخذ الحديث وادابه وشدة الورع في روايته اشتهر ذلك عنهم وعرفوا به .. وأكثر أهل العلم من الحديث عن فضل أهل بغداد في مجال الحفاظ على هذا العلم منهم الحسن بن عرفة ، واسماعيل بن عدية ، وسفيان بن عيينة ، وابن عائشة ، فيروى عن الحسن بن عرفة قوله : (من لم يوثقه أهل بغداد فقد سقط .. هم جهابذة العلم) ، وقال اسماعيل بن علية : (ما رأيت قوما أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد) ، وفي رواية انه قال : (ما رأيت قوما احسن رغبة ، ولا أعقل لطلب الحديث من اهل بغداد) ، أما سفيان بن عيينة فانه قال : (شبان البغداديين اورع .. وقل ما يوجد بحمد الله في محدثي البغداديين ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث في الرواية اختصاصا لهم وتوفيقا من الله الكريم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

---

(٤١) ابن جبير ، رحلة ابن جبير (بيروت ، ١٩٦٤) ١٧٣ .
(٤٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤/١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

والله ذو الفضل العظيم . وقال ابن عائشة : (ما رأيت احسن من تلطف أصحاب الحديث ببغداد للحديث)[٤٣] ، وقال ذو النون المصري بمصر : (من أراد ان يتعلم المروءة والظرف فعلية بسقاة الماء ببغداد)[٤٤] .

وفي مدح علماء بغداد بعامة قال الرحالة ابن جبير في رحلته مشيدا بفقهائها المحدثين ووعاظها المذكورين (لا جرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومزاولة التربية والتبصير والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير مقامات تستنزل لهم رحمة الله تعالى)[٤٥] .

وقال أحمد بن الطيب تلميذ الكندي عن أهل بغداد (مدينة العلم ، شريفة المكان كثيرة الاهل ، واسعة الشكل ، بعيدة القطر ، جليلة الولاية نبيهة السلطان ، ينبوع الادباء ، ومنبت الحكم ، أهلها برد الافاق ، وخطباء البلاد ، ما فعل فيها من خير فمشهود .. منها الفقهاء والقضاة والامراء والولاة ، عتاد الخلافة ودار أهل الدعوة ، وان لها لجنسا من السعادة ولاهلها نوعا من الرئاسة ، وذلك انه قل ما اجتمع اثنان متشاكلان وكان أحدهما بغداديا الا كان المتقدم في لطيف الفطنة وحسن الحيلة ، لين المعاملة ، جميل المعاشرة ، حلو اللفظ ، مليح الحركات ، طريف الشمائل)[٤٦] .

ووصف ابن رجب البغدادي أخلاق أهل بغداد فقال : (نهم كانوا يعظمون الكبير ويرحمون الصغير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويرعون الجوار ، ويحفظون الذمار حتى أن أحدهم اذا رأى من جاره أدنى مثلبة سارع في تأديبه وبالغ في ترهيبه فاذا سمع رب بيت ذلك المسيء قابل جاره بالشكر والثناء وأنواع الدعاء غيبة وحضورا فينزل كل أحد منهم غيره

---

(٤٣) نفسه ، ٤٣/١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .
(٤٤) نفسه ، ٥٠/١ .
(٤٥) رحلة ابن جبير ، ١٤٣ .
(٤٦) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ٧٧ .

منزلة الاخ والاب او الاخت او الوالد ، وكان من أخلاقهم انهم يحملون السيف ويكرمون الضيف ويفشون السلام ويطعمون الطعام ويشفقون على الغريب ويكثرون من صحبة العلماء ويترحمون لذكر الكرماء ، ومنها انهم يعودون المرضى ويشيعون الجنائز ويبالغون في اعطاء الجوائز ، ومنها انهم يأنفون من عشرة من لا يؤمن بيوم الحساب .. ومنها انهم يقرضون المحتاج ويعبرون على المعسر ويتعوذون من العقوق ويبادرون لايفاء الحقوق ويواسون البائس العديم ويرحمون الارملة واليتيم ويؤدون الامانات الى أهلها . ويعدلون في القضايا وفصلها ، الظالم عندهم مخذول وان كان من الفروع او الاصول ، لا تأخذهم في الله لومة لائم وكلهم أماجد أكارم ، يتحرون أكل الحلال ، ولو في رؤوس الجبال ، يهربون من الحرام ، كما يقال ، مسيرة عام ، لا يشقون عصا المسلمين ولا يركنون الى الظالمين ، ومنها أنهم يحافظون على العبادات ويبغضون من اجترم السيئات ، لباسهم التقوى.. يعرضون عن الملاهي والملاعب الا ما قل منهم ، والحكم للغالب .. وأما الان فقد ثبت بالسماع والعيان انهم أعدل الناس سيرة واسلمهم سريرة ، وما ذاك الا لكون اناء العطر اذا نفذت غاليته بقيت رائحته وجودة الاصل تنتج حسن الفعل)[٤٧] .

وبعد فهذه بغداد حرسها الله وأدام العز بواديها وأظهر الخير فيها وعم منها البلاد وأرضى ساكنيها بما يمن عليهم من النعمة وسائر البلاد والعباد وخذل من يريد السوء او أراد ، قال ابن الفقيه : (فمن يروم العدوان او تحدثه نفسه بالطعن على بغداد ؟ .. فالطاعنون على بغداد ؟ والطاعنون على أختيار الخلفاء ، والطاعنون على الخلفاء هم الطاعنون على الانبياء ، والطاعنون

---

(٤٧) ابن رجب البغدادي ، عباس بن جواد بن رجب ، نيل المراد في احوال العراق وبغداد ، تحقيق عبد المحسن مجيد ، منشور في مجلة المورد ، عدد خاص ، م٨/ع٤ (بغداد ، ١٩٧٩) ص٥٣٧-٥٣٨ ، وكان ابن رجب البغدادي قد كتب ما قاله في ١٥/شعبان/١٣٣٣هـ .

على الانبياء هم الطاعنون على رب الانبياء ، حرسها الله من الطعن ، وحفظها من كل سوء وذلك من الله فضل ومن)[٤٨] .

وقال القاضي أبو محمد بن علي المالكي[٤٩] :

سلام على بغداد في كل موطن   وحق لها مني السلام المضاعف .
بلد صحبت بها الشبيبة والصبا   ولبست ثوب العيش وهو جديد

وقال ابن الرومي[٥٠] :

فاذا تمثل في الضمير رأيته   وعليـــــه أغصان الشباب تميد

وقال ابن النبيـه[٥١] :

واستطابت ريا نسائم بغـداد   فكانت لولا البـرا ان تطـيرا
ذكـرت من مسـارح الكرخ روضا   لم يـزل ناضرا وماء نمـيرا

تلك هي بغداد ، حرسها رب العباد .

(٤٨) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ٧٤ .

(٤٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج٣/ص٢٢٠ .

(٥٠) ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، ج٢ (طبعة بيروت) ٧٦٦ .

(٥١) انظر مجلة المورد م٨/ع٤/بغداد ١٩٧٩ ص ٥٣٨ .

محتويات البحث

٩٥٦٫٧
م ٥٩٤ المشهداني ، محمد جاسم حمادي
مكانـه العـراق والعراقيين في كتـب
التاريخ ، والتراث ، محمد جاسم حمادي
المشهداني : ـ بغداد : دار الحرية للطباعة ،
١٩٩٦ .
ص ، ٢٤ سم
١ ـ العراق ـ تاريخ أ ـ العنوان

م ٠ و
١٩٩٦/٨٥

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ٨٥ لسنة ١٩٩٦

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٩٩٦ م ـ ١٤١٧ هـ

نبذة عن المؤلف

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

مكان وتاريخ الولادة: ناحية الطارمية - ١٩٥٠ من اعمال محافظة بغداد سابقاً، والان من اعمال محافظة صلاح الدين

الشهادات العلمية: بكالوريوس تاريخ - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد / الاول على قسم التاريخ في الكلية بدرجة جيد جداً للعام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢

ماجستير في التاريخ العربي الاسلامي قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد، بدرجة جيد جداً للعام ١٩٧٥ - ١٩٧٦

دكتوراه في فلسفة التاريخ العربي الاسلامي - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بغداد، بدرجة امتياز للعام الدراسي ١٩٨٣ - ١٩٨٤

الكتب المؤلفة:

١ - الجزيرة الفراتية والموصل - دراسة في التاريخ السياسي والاداري (بغداد، ١٩٧٧)
٢ - فهارس مجلة المؤرخ العربي (بغداد، ١٩٨٤).
٣ - تاريخ امارة بني منقذ العربية (بغداد، ١٩٨٦)
٤ - موارد البلاذري عن الاسرة الاموية في كتابه انساب الاشراف، مجلدان (مكة المكرمة، ١٩٨٦)
٥ - حرب بني شيبان مع كسرى انو شروان، رواية بشر بن مروان الاسدي دراسة وتحقيق (بغداد، ١٩٨٨)
٦ - عبدالله بن عامر (بغداد، ١٩٨٨)
٧ - الشهيد في منظور عربي اسلامي (بغداد، ١٩٨٨)
٨ - الحقيقة التاريخية للتآمر على آل البيت (بغداد، ١٩٨٨)
٩ - الانساب العربية ودورها في تدوين تاريخ الامة (بغداد، ١٩٨٨)
١٠ - الخليفة عثمان بن عفان (بغداد، ١٩٨٩)
١١ - الخليفة المقتفي لامر الله (بغداد، ١٩٩٠)
١٢ - ابن العلقمي والطوسي (بغداد، ١٩٩٠)
١٣ - اسامة بن زيد (بغداد، ١٩٩٢)
١٤ - عشيرة المشاهدة - تسميتها - ونسبها - افخاذها مجلدان (بغداد، ١٩٩٢)
١٥ - نسب السادة العلويين في مندلي (بغداد، ١٩٩٣)
١٦ - حب الوطن في التراث والتاريخ (بغداد، ١٩٩٤)
١٧ - نسب السادة العلويين السوامرة في ديالى (بغداد، ١٩٩٤)
١٨ - عشيرة الغرير.. تسميتها.. افخاذها (بغداد، ١٩٩٤)
١٩ - الصبر في التاريخ والتراث العربي (بغداد، ١٩٩٥)
٢٠ - مواقف الرسل والانبياء من اقوامهم (تحت الطبع)

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م